المؤتمر القومي السادس

لا شك في أن حزب البعث العربي الاشتراكي أنجز تطورا هاما على صعيد بلورة فكره ونظرته وتجذيرها عبر مؤتمره القومي السادس عام ١٩٦٣ . ولقد تبدى ذلك بوضوح في « التقرير العقائدي » الذي عدل المؤتمر عنوانه فاستبدله بـ « بعض المنطلقات النظرية » .

من خلال قراءة هذا التقرير يستطيع المتابع أن يرصد الشوط البعيد الذي قطعه البعث في تطوير مواقفه وتجذيرها وعلمنة افكاره ونظرته .

فعلى صعيد العلاقة مع المعسكر الاشتراكي ، حقق هذا المؤتمر انجازا وتطورا حاسمين . فقد رأينا كيف كانت مرحلة الاربعينات عموما قد اعتبرت الاتحاد السوفياتي قوة استعمارية ، ثم مر معنا كيف تطور هذا الموقف خلال الخمسينات ؛ اذ تميزت هذه المرحلة بالتخلي عن هذا الموقف لتتطور باتجاه اعتبار الاتحاد السوفياتي خصوصا ، والمعسكر الاشتراكي عموما ، طرفا متميزا عن الدول الاستعمارية ، وانه لا يسعى الى فرض نفوذه على المنطقة ، بل يحاول ان يساعد سوريا ومصر في مشاريعهما الاقتصادية وحاجاتهما العسكرية التي حرمتهما منها الولايات المتحدة الاميركية . وبشكل عام ، تميزت فترة الخمسينات بأن نحا الحزب منحى ايجابيا نحو الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي . ولكنه منحى يشوبه التردد والحذر ، خصوصا ان الصدام بين حزب البعث والاحزاب الشيوعية قد تفاقم في اكثر من قطر في تلك الفترة . اما في مرحلة اوائل الستينات ، فقد حسم البعث موقفه من هذه العلاقة ، خصوصا ان المد القومي في مرحلة الخمسينات وظهور عبد الناصر وانحياز اغلبية الجماهير العربية الى هذا المد ، كل ذلك طمأن البعث الى أن فكرة الوحدة العربية التي بشرت بها الحركة القومية العربية قد انتشرت ، ولقيت رواجا وحماسة عند الجماهير ، بحيث لم تعد الافكار والطروحات الاقليمية القطرية من جهة ، او الاممية من جهة اخرى ، قادرة على الغائها او تجاوزها وانكارها . وبالتالي ، ففي بداية الستينات ، وعلى الرغم من الانفصال بين مصر وسوريا ، امسى البعث اكثر ايجابية واقل توترا وسلبية في علاقته السياسية مع المعسكر الاشتراكي من جهة ، وفي انفتاحه على الفكر الماركسي من جهة اخرى ، دون ان يعني ذلك تبنيه ، ولكن بمعنى زوال « عقدة » الخوف من الانفتاح على هذا الفكر كجزء من التراث الفكري الثوري الانساني العالمي . وتعتبر « المنطلقات النظرية » التي أقرها المؤتمر القومي السادس أن حزب البعث العربي الاشتراكي قد وضع مسألة النضال ضد الاستعمار ضمن اطارها الدولي والانساني . وترى هذه المنطلقات ان المعسكر الاشتراكي قوة ايجابية فعالة في النضال ضد الاستعمار ، فتذهب لتؤكد أن « تبعية الشيوعيين المحليين السياسية والنظرية وانغلاقهم المذهبي وتجمدهم الفكري وعداءهم للاتجاه القومي العربي والوحدة العربية ، والاخطاء المبدئية والتكتيكية التي وقع ويقع فيها الاتحاد السوفياتي كثيرا من الاحيان ، لم تستطع ان تحجب عن حزب البعث التقاءه العميق مع المنطلقات الاساسية المبدئية لسياسة المعسكر الاشتراكي »[٢٥] .

ومن خلال متابعة للتقرير ، يرى القارىء انه لا يضع المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في كفة واحدة ، بل على العكس من ذلك يربط ربطا متطورا بين نضال الشعوب المستعمرة او شبه المستعمرة وبين المنطلقات الاساسية والمبدئية التي يتبناها المعسكر الاشتراكي . ويخلص التقرير الى ان هذا الترابط يجعل المعسكر الاشتراكي اكثر انسجاما مع مصالح الوطن